Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V :09, N :02 – 30 Novembre 2019

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 09، العدد 02 – 30 نوفمبر 2019

علوم الإعلام والاتصال والعلوم المجاورة

Information and communication sciences and neighboring sciences

تواتي فاطمة الزهراء *

جامعة مستغانم/ الجزائر (fatimazahraa_touati@hotmail.com)

تاريخ الاستلام : 2019/10/01 ؛ تاريخ القبول : 2019/11/26؛ تاريخ النشر : 30 /11/ 2019

الملخص

إن تطور المجتمعات والانتشار الواسع لتكنولوجيا الإعلام والاتصال ولّد الحاجة إلى علم يختص بدراسة الظواهر الناتجة عن تأثير هذه التكنولوجيا على الأفراد والمجتمع. ويعتبر هذا الحقل المعرفي (علوم الإعلام والاتصال) علما متعدد التخصصات Une science pluridisciplinaire لتقاطعه مع علوم أخرى. وقد أخذ من العلوم التقنية الوسائل التكنولوجية، أما من العلوم الإنسانية، فقد أخذ المناهج والأساليب البحثية والنظريات التي تساهم في تفسير الظاهرة الاتصالية والإعلامية.

الكلمات المفتاحية: علوم الإعلام والاتصال، العلوم التقنية، العلوم الإنسانية، علم الاجتماع، علم النفس، اللسانيات، السيميولوجيا

Abstract

The development of societies and the widespread of ICT have generated the need for a new science specialized in studying the impact of this technology on the individuals and society. This field of knowledge (science of information and communication) is an interdisciplinary science and that for its intersection with other sciences. It took from the technical sciences technological means, and from the science of humanity, took approaches and research methods and theories that contribute to explain the phenomenon of communication and information.

Keywords : Information and communication sciences, technical sciences, humanities, sociology, psychology, linguistics, semiology

* **الباحث المرسل:**

مقدمة

تتموقع علوم الإعلام والاتصال في حقل العلوم الإنسانية إلى جانب العلوم الأخرى، وقد جاءت نتيجة حاجة المجتمعات المعاصرة إلى علم يختص بدراسة الظواهر الناتجة عن تأثير تكنولوجيات الإعلام والاتصال على الأفراد والمجتمعات. وهذا ما يؤكد عليه برنار مياج Bernard Miège بقوله:

"ظهرت علوم الإعلام والاتصال نتيجة حاجة المجتمع إلى علم يدرس عمليات الإعلام والاتصال الناجمة عن أعمال منظمة وهادفة، مرتكزة إلى التقنيات، ومساهمة في أشكال التواصل الاجتماعية والثقافية".(1)

وقد ارتبط مفهوما الإعلام والاتصال في الأدبيات التي تعرضت لهذا العلم، لأنهما يشتركان في نقل المعلومات والتواصل بين طرفين. وحتى أثناء التفكير في تسمية هذا العلم الوليد فإنهما بقيا متلازمين دائما.

وكان ينظر إليه في ستينيات القرن الماضي، على أنه فرع تمر به تخصصات عديدة والقليل منها يتوقف عنده، وليس فرعا أكاديميا بالمعنى الذي نقصد به الفيزياء أو الاقتصاد.(2)

لاحقا، في السبعينيات، اجتمع باحثون ومدرسون جامعيون لاستحداث اختصاص علمي جديد يعبر عن هذا التوجه الجديد، فكانت "علوم الإعلام والاتصال" انطلاقا من تراكمات علمية، كنموذج شانون التناسبي الحديث آنذاك، وبروز علم التوجيه الآلي (Cybernétique). ونتيجة تعدد النظريات وغياب القاعدة الفكرية المشتركة، أصبح هذا العلم الجديد علما متعدد التخصصات، يتطلب التفاعل العلمي والتبادل المعرفي بين الباحثين من حقول مختلفة.(3)

وصاحب ذلك بروز ظواهر ومفاهيم كالدعاية، الإشهار، الصحافة المكتوبة، السينما، الإذاعة، التلفزيون، وشدها انتباه الباحثين. فهي لا تصنف في إحدى خانات العلوم المجاورة، ولا تنتمي كلية إلى مجالات تخصصهم، وإنما هي ظواهر مرتبطة بتخصصاتهم ولكنها تكتسي أبعادا جديدة، وبذلك

فرضت نفسها لتكون اهتمام الدارسين لتشكل فيما بعد علوم الإعلام والاتصال. وبذلك فإن دراسته علميا أضحت ضرورة. من هذا المنطلق نتساءل:

ما هي علاقة علوم الإعلام والاتصال بالعلوم التقنية والإنسانية؟ كيف تتقاطع معها؟ وما هو موقعها إلى جانب هذه العلوم؟.

بداية نقر بأن علوم الإعلام والاتصال أخذت من العلوم التقنية الوسائل التكنولوجية، أما من العلوم الإنسانية، فقد أخذت المناهج والأساليب البحثية والنظريات التي تساهم في تفسير الظاهرة الاتصالية والإعلامية.

وإقرارنا بأن الاتصال وجد منذ وجود الإنسان الأول، فإننا نعترف في طيات ذلك بأن الإرهاصات الأولى كانت موجودة قبل التاريخ. ومن أوائل من تحدثوا بذلك أرسطو وأفلاطون، من خلال فن الخطابة والبلاغة التي يريد من خلالها الخطيب أن يوصل رسالة للآخرين، وفقا للنموذج التقليدي: مرسل– رسالة– مستقبل. ونفهم من خلال ذلك بأن **الاتصال قديم ظاهرة، حديث علما.**

وأكد الفلاسفة اليونان، سقراط (469– 399 ق.م)، وأفلاطون (427– 347 ق.م)، وأرسطو (384– 322 ق.م) على أن الفرد في عيش الحياة الفاضلة يشكل جزء من المجتمع الفاضل الشامل (4)، والذي يتواصل فيه دائما مع الآخرين، فيجسد تلك الفضائل في رسائله الاتصالية داخل المجتمع الأثيني، وفي احتكاكه المستمر مع الأطراف الأخرى.

وحديثا، مرّت علوم الإعلام والاتصال بمراحل لتتبلور في الأخير كعلم قائم معترف به إلى جانب العلوم الأخرى، وهي خاصية يتميز بها، ولا تنتقص من قيمته العلمية، ونقرّ على أنه علم متعدد التخصصات Une science pluridisciplinaire.

وفي هذا المضمار، يقول Michel Mathien :

" إن ميدان علوم الإعلام والاتصال تأسس على التوالي، إلى جانب كل التخصصات الأخرى ليتمكن من التواجد كتخصص قائم بذاته، وكواجهة بين التخصصات. وأصبح المكان الذي تتقاطع فيه وجهات النظر العلمية حول الأنساق الإنسانية الاتصالية والإعلامية، وحول امتداداتها التقنية، وظروفها السياسية، والاقتصادية، والصناعية، والثقافية".(5)

وتتموقع الدراسات التي أقيمت في هذا الحقل المعرفي الحديث في حلقة ترتبط بعلوم أخرى، ويمكن تصنيف **أبحاث الإعلام والاتصال** في ثلاثة اتجاهات رئيسية وهي:

الاتجاه الأول: يوجد بين العلوم العصبية والعلوم المعرفية، ويعالج الاتصال هنا في علاقته مع الدماغ من إدراك وحركة وتفكيك للشفرة التي تحملها الصورة واللغة.

الاتجاه الثاني: يقف بين العلوم المعرفية والعلوم الطبيعية، ويركز على معوقات العملية الاتصالية بين الإنسان والوسيلة التكنولوجية.

الاتجاه الثالث: يركز على العلوم الإنسانية والمجتمع، فيدرس الاتصال بين الأفراد والجماعات، كما يدرس تأثير تكنولوجيا الاتصال في مسار المجتمع.(6)

وبذلك فإن أبحاث الإعلام والاتصال تتداخل مع حقول معرفية أخرى في علاقات تكاملية لتفسير الظاهرة الإعلامية والاتصالية تفسيرا علميا.

علاقة علوم الإعلام والاتصال بالعلوم التقنية:

قبل الاتفاق على تسمية علوم الإعلام والاتصال كانت هناك ممارسات اتصالية وإعلامية كان لها الأثر الكبير في بروز هذا الاختصاص، وخروجه من تحت أجنحة علوم أخرى. وقد كانت تكنولوجيا الإعلام والاتصال التي تكتسح المجتمعات ويكون لها أثرها في جمهورها، من إسهامات باحثين وعلماء من تخصصات علمية تقنية بحتة.

فصامؤيل مورس (الولايات المتحدة الأمريكية) مخترع التلغراف أو جهاز الترميز البرقي سنة 1838، متخصص في الرياضيات، يعتمد جهازه إشارات ترسل كهربائيا، وتتألف من نقط وشرطات للدلالة على الأحرف (7)، وقد مهد تصميمه لظهور وسائل الاتصال في العالم.

وسجل ألكساندر بيل (بريطانيا/ الولايات المتحدة الأمريكية) اختراع أول هاتف سنة 1876، ليسمح هذا الاختراع بانتقال الكلام عبر أسلاك، وكان يحتوي هذا الجهاز على أول ميكروفون. علما بأن بيل كان عالما ومعلما للصم.(8)

في حين كان مخترع الراديو غوليلمو ماركوني (إيطاليا) مهتما بدراسة الموجات الكهرومغناطيسية، وأول من جرب سنة 1894 استخدام الموجات الراديوية في الاتصال، معتمدا على أبحاث العالم هرتز حول الموجات التي تصل سرعة حركتها لتشابه سرعة الضوء.(9)

وهناك من يرجع اكتشاف المذياع إلى طوماس إديسون (الولايات المتحدة الأمريكية) سنة 1877، وسمي آنذاك بالآلة المتكلمة (Talking machine)، وما قام به ماركوني هو نقل أول إشارة غير سلكية عبر المحيط الأطلسي سنة 1901 (10). منزلا تجربته التي قام بها سنة 1894 منزل التطبيق الفعلي.

أما التلفزيون فكان من اختراع جون لوجي بيرد (بريطانيا) المتخصص في الهندسة الكهربائية. وقام سنة 1925 بأول عرض تجريبي لجهاز التفزيون.(11)

وقد مهد اكتشاف فلاديمير سوركين سنة 1923 لذلك، حين اكتشف أنبوب الصورة الذي يحول البواعث الإلكترونية إلى صور مرئية.(12)

وقد زرعت البذرة العلمية لثورة تقنية المعلومات عام 1935، وولدت خلال الحرب العالمية الثانية، وكان لها دور حاسم في الاستخبارات والمجال العسكري الاستراتيجي. لكن الخطوة الأهم كانت باختراع الحاسوب الرقمي نهاية الأربعينيات من القرن العشرين. وهو ثمرة تكاتف جهود والتقاء علوم الفيزياء والرياضيات المنطقية والهندسة الإلكترونية. فكانت هذه البوادر التي أدت إلى ثورة تكنولوجيا المعلومات التي يشهدها عصرنا.(13)

وهي في مجملها علوم تقنية بحتة، لغتها لغة الأرقام، فأسهمت بهذه التكنولوجيا التي أحدثت قفزة نوعية في عالم الاتصالات، في عادات العمل والدوام، وفي طبيعة التواصل بين الأفراد والمجتمعات، مختزلة وقتا وجهدا وتكلفة.

علاقة علوم الإعلام والاتصال بالعلوم الإنسانية:

عند الحديث عن علوم الإعلام والاتصال إبستيمولوجيا، بمعنى الدراسة النقدية لها، ودراسة كيفية تكوين المعرفة العلمية وظروفها، وكذا دراسة تاريخها ومناهجها ومبادئها العلمية (14)، فإننا

لا نستطيع أن ننسلخ عن العلوم الأخرى. فعلوم الإعلام والاتصال وليدة تقنيات وأساليب استعارتها من علوم مجاورة، تتقاطع معها علميا في محاولة لفهم الظواهر المختلفة والتنقيب عن أسبابها والتكهن بنتائجها، ثم تعميمها على ما شابهها من ظواهر عند توفر نفس الشروط.

وإذا ذهبنا للحديث عن الأساليب البحثية التي تعتمد عليها بحوث الإعلام، نجد أساليب مختلفة تستجيب لنوعية البحث وطبيعته، لتعبر عن حدود الإشكالية، كالملاحظة والاستمارة والمقابلة وتحليل المضمون، وغيرها.

وقد انفردت علوم الإعلام والاتصال بتقنية واحدة وهي تقنية تحليل المضمون• التي تعد تقنية وجدت في هذا الحقل واستعانت بها العلوم الإنسانية الأخرى.

ويشير تحليل المضمون إلى دراسة المادة الإعلامية التي تقدمها وسائل الإعلام المختلفة بغية الكشف عن المعنى الذي تريد إيصاله إلى الجمهور، وكيفية عرض هذا المحتوى وحجمه وأسلوب مخاطبته لجمهوره، في محاولة لمعرفة درجة تأثيره.(15)

وارتبطت هذه التقنية أو المنهج إلى حد بعيد بتطور علوم الإعلام والاتصال، واتساع مجالاتها الدراسية، ومن رواده الأوائل هارولد لازويل Harold Lasswill. وهناك من يرجع بوادره الأولى إلى سنة 1893 من خلال البحث الذي أجراه سبيد Speed، لمقارنة التغير في طبعة الأحد من صحف نيويورك بعد توجه نيويورك تايمز New York Times إلى زيادة توزيعها بتخفيض ثمنها وزيادة حجمها، واستعمال الإثارة.(16)

ثم تزايد الاهتمام باستخدام تحليل المضمون في بحوث الصحافة بعد الدراسات الرائدة التي قدمها لازويل وليتس وزملاؤهم بعد عام 1940، من خلال اهتمامهم بالدعاية. وقدموا مصفوفة من المفاهيم والمصطلحات والمعارف المرتبطة بتحليل المضمون لخصوها في مؤلف جماعي.(17)

• هناك اختلافات منهجية وآراء مختلفة حول كون تحليل المضمون منهجا من مناهج الدراسات أو أسلوب أو أداة من أدوات جمع البيانات التي تستخدمها تلك البحوث.

تقاطع علوم الإعلام والاتصال بعلم الاجتماع:

يعد علم الاجتماع من أكثر العلوم اتصالا بعلوم الإعلام والاتصال، ويعنى بدراسة الظواهر الاجتماعية المختلفة، والتي تعد نتاجا لأسباب ساهمت في تحقيقها، وهي في عمومها خاصة بالمجتمع الذي تنتمي إليه، لأنه ينطوي على خصوصية تميزه عن باقي المجتمعات الإنسانية.

وتعرف الظاهرة الاجتماعية، التي هي عمود الدراسات الاجتماعية، على أنها توافق في طرق التفكير والشعور والعادات تؤدي إلى نظم وقواعد تتلاءم مع طبيعة المجتمع.(18)

ولعلم الاجتماع فروع متعددة، بحيث يهتم كل فرع من فروعه بدراسة ظواهر اجتماعية معينة، لها سمات وخصائص مشتركة، ولها أسباب مشتركة أدت إلى ظهورها.

من هذه الفروع، علم اجتماع الاتصال أو علم اجتماع الإعلام، الذي يعنى بدراسة الاتصال في الحياة الاجتماعية، وتأثيرها على الجماعات والمجتمعات. وتتسم هذه الدراسة بالعلمية وباعتمادها منهجا علميا ليركب ويحلل ويفسر العلاقة بين المتغيرات التابعة والمتغيرات المستقلة.

ويعرف على أنه عبارة عن عملية اجتماعية ضرورية لاستمرار الحياة الاجتماعية، وأن الاتصال هو التجسيد الحقيقي للتفاعل بين الأفراد والجماعات والمجتمع.(19)

وفي بعد آخر أيضا، أصبحت علوم الإعلام والاتصال شريكا في عملية التنشئة الاجتماعية، والتي تعد بعدا مهما في علم الاجتماع، فإضافة إلى مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية المتمثلة في الأسرة أولا، إلى جانب المدرسة وجماعة الرفاق والمسجد، اعتبارا بأننا ننتمي إلى مجتمعات عربية في عمومها إسلامية، ولا يمكن أن نلغي هذا الدور، فإن وسائل الإعلام تصنف أيضا إلى جانب مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

علما أن هذه العملية تهدف إلى تعليم وإكساب الفرد في كل مراحله العمرية، طفلا فمراهقا فراشدا فشيخا سلوكات واتجاهات تمكنه من أداء أدوار اجتماعية تيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية. وهي عملية دينامية يحضر فيها التفاعل والتغير، حيث أن الفرد في تفاعله مع الآخرين واحتكاكه بهم يتبادل معهم ما يتعلق بالمعايير والأدوار الاجتماعية والاتجاهات النفسية.(20)

ومن المحاولات الأولى التي ربطت بين الظاهرة الاتصالية والظاهرة الاجتماعية محاولة جون لوك John Lock في تحليل نشره عام 1690 حول أهمية الاتصال في الحياة الإنسانية، وصلته المباشرة بالعقل واللغة بقوله:

"عندما خلق الله الإنسان ككائن اجتماعي لم يخلقه راغبا ومحتاجا لرفاق من جنسه فقط، وإنما زوده أيضا باللغة التي هي أداة مهمة ورابطة مشتركة في المجتمع".(21)

وجسد عالم الاجتماع تشارلز كولي العلاقة بين الاتصال وعلم الاجتماع في كتابه "التنظيم الاجتماعي" الذي أصدره عام 1909 ليعطي أهمية كبيرة للاتصال في البناء الاجتماعي وتأخذ هذه العلاقة بعدها الحقيقي، فهو يعتبر الاتصال مفهوما أساسيا في الفكر الاجتماعي، وهو الرابط وهمزة الوصل التي تحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية واستمرارها.(22)

وقد أدت الجهود البحثية إلى بلورة الأسس العلمية والنظرية للتوجهات التي بدأها كولي ومن بعده، أمثال روبرت بارك Robert Park وهارولد لازويل Harold Lasswell ولازارسفيلد Lazarsfeld ودنيس ماكويل Denis Mcquail ودانيال لينر Daniel Lener وولبر شرام Wilbur Schram وغيرهم، في إرساء قواعد علم اجتماع الإعلام والاتصال.(23)

تقاطع علوم الإعلام والاتصال بعلم النفس:

يدرس علم النفس سلوك الفرد دراسة نظامية وعلمية، وما يتضمنه هذا السلوك من أفكار ومشاعر وأحاسيس وميول ورغبات وانفعالات، بغية ضمان الاتزان النفسي للفرد وراحته.(24)

ولا يتم هذا السلوك في معزل عن الآخرين، بل يتم في عملية تفاعلية مع الأطراف الأخرى. فيتبادل معهم الرسائل الاتصالية، الأفكار، المعلومات والأدوار.

ويتجلى ذلك من خلال التعريف التالي لعلم النفس، فهو يعرف أيضا بأنه العلم الذي يدرس سلوك الإنسان بما يمثله من أفعال وأقوال وحركات ظاهرة، وأوجه النشاط الإنساني أثناء عملية التفاعل مع بيئته.(25)

كما يحاول فهم السلوك والتنبؤ به وضبطه بهدف رفع كفاءة الأفراد على التكيف والإنتاج والعيش السليم. ولم يقتصر اهتمام علم النفس على مستوى النظرية فحسب، بل تجاوز ذلك إلى توظيف مبادئه ومفاهيمه في ميادين متعددة، ما أدى إلى ظهور فروع تطبيقية منه.(26)

فهو يختص كعلم في دراسة النفس البشرية، وله أهمية كبيرة إلى جانب العلوم الأخرى، ومن بين هذه الفروع، علم النفس الإعلامي.

ويربط هذا الفرع بين عناصر العملية الاتصالية، ويهتم بتأثير هذه العملية على نفسية الأفراد، وتأثير الأفراد عليها، مركزا على عناصر ثلاثة من عناصر العملية الاتصالية: الرسالة، الوسيلة والجمهور المتلقي. ويضاف إلى اهتمام علماء الاتصال بتأثير الأفراد على العملية الاتصالية والإعلامية، وتأثرهم بها، اهتمامهم بالتفضيلات والدوافع التي تحكم عملية الاتصال والإشباعات المحققة من ذلك.(27)

ويساعد علم النفس الإعلامي على التعرف على مدى اعتماد الجمهور على وسائل الإعلام التي تساهم بشكل كبير في تشكيل ثقافة المجتمع. ويمكّن من التعرف على استخدامات الجمهور لوسائل الإعلام التي تشبع احتياجاته، علما بأن ذلك يختلف من فرد لآخر لوجود فروق فردية بينهم.

إضافة إلى التعرف على دور العوامل النفسية في توجيه دوافع الفرد نحو الاتصال، والتي تعد بمثابة محرك له لاختيار وسيلة ومضمون دون آخر.(28)

ويهتم هذا الفرع أيضا بأساليب تمثيل المعلومات من حيث الإدراك والاستيعاب والاسترجاع، ومدى تدخل الوسيلة الإعلامية ومضامينها في ترتيب الأولويات والقضايا التي يهتم بها الفرد. وفي بعد مهم آخر، فإن وسائل الإعلام تشكل اهتمامات الجمهور فهي التي توجهه إلى ما يفكر فيه. وتؤهل القائم بالاتصال للتواصل مع الجمهور وتصميم الرسالة المناسبة له.(29)

علم النفس يدرس الظاهرة النفسية في علاقتها التكاملية مع علوم أخرى، فإذا كان في البداية يدرس الموضوعات النفسية بمنهجية ذات طابع فلسفي تقوم على القياس والملاحظة والتأمل، لأنه علميا وإلى عهد قريب نسبيا، كان علم النفس فرعا من فروع الفلسفة، إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وأصبح ينتمي بعدها إلى مجموعة العلوم الإنسانية. واستخدم

الباحثون المنهج العلمي المتبع في العلوم الطبيعية في دراسة الظواهر والدوافع التي تكمن وراء سلوك الإنسان(30). فإنه يحضر بالضرورة الاتصال، ويكون الفرد مرسلا ومستقبلا للرسالة الاتصالية، مفككا لشفرتها ومنتظرا لرجع الصدى الذي يبتغيه من وراء تصميمها.

ولا يغفل دور وسائل الإعلام في التأثير على نفسية الفرد المتلقي وما تحدثه على مستوى التفكير والاتجاه، الذي يتجسد عنده في سلوكات ظاهرة قابلة للقياس والدراسة.

فهناك علاقة تكاملية بين علم النفس وحقول معرفية أخرى، على غرار الفلسفة والعلوم الطبيعية، العلوم الإنسانية، من بينها علوم الإعلام والاتصال.

تقاطع علوم الإعلام والاتصال باللسانيات:

اللسانيات أو الألسنية أو اللِّسانة أو اللِّسْنيات أو علم اللغة (la linguistique) هي العلم الذي يتخذ اللغة الإنسانية موضوعا لدراسته، حيث يدرسها دراسة علمية قائمة على الوصف الموضوعي، ومعاينة الظواهر اللغوية بعيدا عن الأحكام المعيارية.(31)

ظهرت بوادر هذا العلم أوائل القرن العشرين على يد العالم السويسري فرديناند دي سوسير Ferdinand De Saussure (1857– 1913)، فكان رائدا للمدرسة اللسانية البنيوية، ولقّب بأب علم اللغة الحديث. مركزا في دراسته على اللغة الإنسانية التي يرى بأنها تتمثل بالألسن، فالألسنية هي دراسة الألسن (les langues). وقد ذاع صيته بعد أن نشر تلميذاه شارل بالي C. Bally وألبرت سيشهاي A.Sechehaye سنة 1916 أملياته، التي كان يلقيها في جامعة جنيف تحت عنوان: "**محاضرات في علم اللغة العام Cours de linguistique générale**".(32)

وفي علاقة اللسانيات بعلوم الإعلام والاتصال، فإن موضوع الاتصال أكثر اتساعا من موضوع اللغة البشرية، فالأفراد دائمو التواصل فيما بينهم باستعمال اللغة، والتي تحتمل النوعين: اللغة اللفظية واللغة غير اللفظية.

- **اللغة اللفظية:** وذلك باستعمال الكلمات التي تركب في جمل مفيدة ومعبرة عن السياق الذي يتواجد فيه المتصلان، واللذان يعدان من أهم عناصر العملية الاتصالية، وغياب أحدهما يعني غياب العملية الاتصالية.
- **اللغة غير اللفظية:** هي جملة الإشارات والإيماءات المشتركة التي يستعملها طرفا العملية الاتصالية، والتي تكون محل اتفاق بين الأطراف المتصلة، كما أنها متداولة اجتماعيا عندهم، ولها دلالاتها الخاصة في كل مجتمع تنتمي إليه. لأنه بتغير السياق الاجتماعي والثقافي، قد تحتمل الرسالة تأويلا آخر لم يقصده مصمم تلك الرسالة الاتصالية، بل قد يحضر ذلك حتى في المجتمع الواحد المتباين اللهجات والثقافات.

واستعمال اللغة هنا، يشير إلى العلاقة بين هذين الحقلين العلميين، إذ لا يمكن تصور عملية اتصالية دون استعمال اللغة، سواء كانت ملفوظة أو غير ملفوظة.

كما يستحيل تصميم الرسالة الإعلامية والاتصالية بالاستغناء عن اللغة، فهي دعامة مهمة وأساسية في إيصال معنى وفهما ما، سواء على مستوى محدود بين الأفراد في تواصل شخصي بينهم، أو في نشرها على أوسع نطاق ممكن باستعمال وسائل الإعلام المختلفة.

وقد جاءت تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة (NTIC) بممارسات اتصالية جديدة، استعمل فيها المستخدمون والأنترنتيون (les internautes) لغة جديدة تتماشى وطبيعة هذه التكنولوجيات الحديثة. فعرفت اللغة رموزا جديدة، فمثلا أثناء إرسال رسالة نصية أو المشاركة بتعليق عبر مواقع التواصل الاجتماعي أضحت الأرقام تحضر في الكلمات المكتوبة، وتقرأ على أنها حروف تتضمنها الكلمات. فمثلا رقم (3) يمثل حرف العين، ورقم (7) يمثل حرف الحاء، ويمثل الرقم (9) حرف القاف.

وبذلك فاللغة تمثل أساس الاتصال الإنساني باعتبارها سلوكا دائم التطور، وعنصرا جوهريا في عملية الاتصال.(33)

ويعتبر رولان بارث Roland Barthes اللغة مؤسسة، وما الكلام إلا جزء من هذه المؤسسة يستخدمه الإنسان لضرورة الاتصال.(34)

فاللغة مؤسسة اجتماعية، تحمل المعاني التي تجسد الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية. والتي تطورت من الكلام إلى التدوين، وتفرعت بتفرع المجموعات البشرية.(35)

تقاطع علوم الإعلام والاتصال بالسيميولوجيا:

السيميولوجيا أو علم العلامات، نشأ هذا العلم أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ويشير الدارسون إلى أن التفكير في العلامات قديم وكان مصطلح "السيميولوجيا" يطلق عند الإغريق على المبحث الطبي الذي يعنى بالتعرف على الأمراض من خلال أعراضها (36)، أي علاماتها ودلالاتها.

ونظر الباحثون والدارسون إلى السيميولوجيا من خلال منطلقاتهم الإبستمولوجية، منها المنطلق الاتصالي. وتعتبر سيميولوجيا التواصل حسب إريك بويسنس E. Buyssens(بلجيكا) في كتابه "اللغات والخطاب" المنشور سنة 1943 أنها:

"العلم الذي يدرس الإجراءات التي نستعملها بغرض إيصال حالات وعينا إلى الآخرين التي بواسطتها نؤول الإرساليات الموجهة إلينا".(37)

وتشير هذه الإجراءات إلى الإشارات اللغوية (الكلام) أو غير اللغوية التي تشمل مجمل الحركات والإيماءات التي نستعملها للتواصل مع الآخر. وتتقاطع هنا سيميولوجيا التواصل مع اللسانيات.

ويعتبر بويسنس كل فعل تواصلي هو فعل سيميولوجي، والمقياس الرئيسي الذي يقضي بوجود سيميولوجيا هو وجود التواصل (38)، لوجود علامات ودلالات يلجأ إليها الطرفان لتبليغ الرسالة.

وأبرز شروط سيميولوجيا التواصل شرط القصدية، أي يشترط أن يتوفر القصد في التبليغ لدى المرسل أو المتكلم، وأن يعترف متلقي الرسالة بهذا القصد. ويعني قصد التواصل أيضا أنه لا يمكن أبدا أن يكون هناك مسار سيميولوجي بدون علم أحد الطرفين: مرسل ومرسل إليه، فهما الأساس في العملية التواصلية.(39)

وبالنظر إلى هذه النقطة من زاوية اتصالية وإعلامية، فإن الفعل السيميولوجي يستوجب توفر العناصر الأساسية للعملية الاتصالية (مرسل– رسالة– مرسل إليه)، ووجود قصد وهدف من وراء تصميم الرسالة الاتصالية أو الإعلامية، في انتظار ملاحظة أثرها المرجو عند المتلقي أو الجمهور. كما يستلزم تواصل الأفراد فيما بينهم بأية طريقة كانت وجود نقط مشتركة بينهم، فثمة اتفاق طبيعي ناتج عن كونهم تلقوا تكوينا اجتماعيا متشابها. وما يهم السيميولوجي هو الاتفاق الذي يتحقق من أجل التواصل أو بواسطته، ويتطلب توفر تجارب مشتركة تتعلق بالوسائل المستعملة وبالسياق الاجتماعي الذي تستعمل فيه هذه الوسائل. فالدلالة التي تعنى بها السيميولوجيا كثيرا ذات طابع نفسي، لكنها عرفية تتحقق باكتشاف ما هو مشترك بين الأفراد الذي يتواصلون.(40)

السيميولوجيا علم دراسة الدلالة التي يحملها السلوك الإنساني المنتج للمعاني المتضمنة في الرسالة الاتصالية والإعلامية، والاتصال عملية دينامية حاضرة في كل السلوكات الإنسانية.

خاتمة:

عرف الاتصال اهتمام باحثين من حقول معرفية متباينة، وكان هذا المصطلح محل جدل بحيث تناوله كل باحث من زاوية اهتمامه وتخصصه، فتعددت تعريفاته واختلفت باختلاف زاوية كل باحث.

فيعرفه اللساني من حيث لغة الاتصال، وينظر إليه عالم النفس انطلاقا من الذات المتصلة، في حين يركز عالم الاجتماع على جماعة المتصلين، ويعتمد التقني على قناة الاتصال.(41)

ويعرف حقل الإعلام والاتصال ومختلف الميادين العلمية عموما تجددا وتطورا في المعارف، باجتهادات الباحثين والدارسين التي تضمن استمرارية هذه العلوم وثراءها.

وتعد علوم الإعلام والاتصال تخصصا علميا حديثا مقارنة بعلوم أخرى، استقى منها أساسيات أصبحت جزء منه. لتشكل فسيفساء علمية تمزج بين مختلف المعارف الإنسانية.

فأخذت من العلوم الإنسانية النظريات والمناهج والأساليب البحثية، وأخذت من العلوم التقنية الوسائل والتكنولوجيا التي تساعدها على إيصال رسالتها بطريقة ترقى إلى تطلع المهتمين.

ورغم التطور الهائل الذي عرفه حقل الإعلام والاتصال، إلا أنه بالعودة للحديث عن نشأة هذا الحقل المعرفي، وتموقعه إلى جانب العلوم الأخرى، يبدو موضوعا مستهلكا، إلا أنه لازال يحظى باهتمام الباحثين ولم يتوقف النقاش حول ذلك لاسيما في المجتمعات التي أوجدته، في حين يبدو عندنا مسلّمة انتهى البحث والنقاش بخصوصها.(42)

واستعرضنا في هذا المقام بعض العلوم، مثالا لا حصرا، التي تتقاطع معها لتكملها، فهي حسب ما نرى أنها ميزة لا عيب، ولا تنتقص من قيمتها العلمية، شأنها شأن الحقول المعرفية الأخرى، إلى أن تتبلور وتؤسس الأرضية التي تستند إليها.

الهوامش:

1- حسن مظفر الرزو وآخرون: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- بلقاسم سلاطنية وآخرون: "**علم الاجتماع الإعلامي**"، الطبعة الأولى، دار الفجر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012. ص ص 47، 48.

3- حسن مظفر الرزو وآخرون: "**ثورة الصورة: المشهد الإعلامي وفضاء الواقع** "، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008. ص 76.

4- جين فوريمان، تر: محمد حسن: "**أخلاقيات الصحافة**"، الطبعة الأولى، دار الفجر للنشر والتوزيع- مصر، الدار الجزائرية للنشر والطبع والتوزيع- الجزائر، 2012. ص ص 47، 48.

5- عزيز لعبان: "**عن فكرة التناول المتعدد التخصصات في علوم الإعلام والاتصال**"، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 22، جامعة الجزائر 3، الجزائر، 2014. ص 46.

6- حسن مظفر الرزو وآخرون: مرجع سابق، ص 78.

7- مجموعة باحثين: "**موسوعة الاكتشافات والاختراعات**"، الطبعة الأولى، دار صبح، لبنان، 2008. ص 85.

8- مجموعة باحثين: "**موسوعة الاكتشافات والاختراعات**"، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

9- مجموعة باحثين: "**موسوعة الاكتشافات والاختراعات**"، المرجع نفسه، ص 87.

10- مجموعة باحثين: "**الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة**"، عزي عبد الرحمن: "**اللغة والاتصال**"، المجلد الثالث: البعد الاجتماعي، الطبعة الأولى، الأكاديمية العربية للعلوم ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (UNESCO) وEolss ناشرون والدار العربية للعلوم – ناشرون، لبنان، 2006. ص 250.

11- مجموعة باحثين: "**موسوعة الاكتشافات والاختراعات**"، المرجع نفسه، ص 90.

12- مجموعة باحثين: "**الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة**"، مرجع سابق، ص 251.

13- حميد جاعد الدليمي: "**علم اجتماع الإعلام: رؤية سوسيولوجية مستقبلية**"، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن- فلسطين، 2006. ص 39.

14- مي العبد الله: "**البحث في علوم الإعلام والاتصال: من الأطر المعرفية إلى الإشكاليات البحثية**"، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، لبنان، 2011. ص 138.

• هناك اختلافات منهجية وآراء مختلفة حول كون تحليل المضمون منهجا من مناهج الدراسات أو أسلوب أو أداة من أدوات جمع البيانات التي تستخدمها تلك البحوث.

15- حميد محسن الدليمي، اللافي عبد القادر: "**أساسيات البحث المنهجي في الدراسات الإعلامية**"، الطبعة الأولى، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 2008. ص 102.

16- محمد عبد الحميد: "**تحليل المحتوى في بحوث الإعلام: من التحليل الكمي إلى التحليل في الدراسات الكيفية وتحليل محتوى المواقع الإعلامية**"، الطبعة الأولى، عالم الكتب، مصر، 2010. ص ص 19، 20، 35.

17- محمد عبد الحميد: المرجع نفسه، ص 36.

18- معمر داود: "**مدخل إلى علم الاجتماع**"، الطبعة الأولى، دار طليطلة، الجزائر، 2010. ص 51.

19- زيدان عبد الباقي: "**وسائل وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية**"، الطبعة الثانية، مصر، 1979. ص 127.

20- محمد محمد نعيمة: "**التنشئة الاجتماعية وسمات الشخصية**"، الطبعة الأولى، دار الثقافة العلمية، مصر، 2002. ص 20.

21- حميد الدليمي: "**علم اجتماع الإعلام: رؤية سوسيولوجية مستقبلية**"، الطبعة الأولى، دار الشروق، الأردن، 2006. ص 45.

22- حميد الدليمي: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

23- حميد الدليمي: "**علم اجتماع الإعلام: رؤية سوسيولوجية مستقبلية**"، مرجع سابق، ص 46.

24- الأستاذة ابتسام: "**علم النفس العام**"، جامعة بابل، العراق. 2012- 2013. ص ص 5، 6.

25- عماد الزغول، علي الهنداوي: "**مدخل إلى علم النفس**"، الطبعة الثامنة، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، 2014. ص 28.

26- عماد الزغول، علي الهنداوي: المرجع نفسه، ص 21.

27- فتحي حسين عامر: "**علم النفس الإعلامي**"، الطبعة الأولى، دار العربي للنشر، مصر، 2012. ص 18.

28- فتحي حسين عامر: المرجع نفسه، ص 19.

29- فتحي حسين عامر: مرجع سابق، ص ص 19، 20.

30- عماد الزغول، علي الهنداوي: مرجع سابق، ص 27.

31- هيام كريدية: "**أضواء على الألسنية**"، الطبعة الأولى، لبنان، 2008. ص 11.

32- هيام كريدية: المرجع نفسه، ص 11.

33- علي كنعان: "**الإعلام والمجتمع**"، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2014. ص 121.

34- نسيم الخوري: "**الكتابة الإعلامية: المبادئ والأصول**"، الطبعة الثانية، دار المنهل اللبناني، لبنان، 2009. ص 22.

35- مجموعة باحثين: "**الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة**"، عزي عبد الرحمن: "**اللغة والاتصال**"، المجلد الثالث: البعد الاجتماعي، الطبعة الأولى، الأكاديمية العربية للعلوم ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (UNESCO) وEolss ناشرون والدار العربية للعلوم – ناشرون، لبنان، 2006. ص 237.

36- إيريك بويسنس، تر:جواد بنيس: "**السيميولوجيا والتواصل**"، الطبعة الثانية، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، 2017. ص 6.

37- إيريك بويسنس، تر:جواد بنيس: مرجع سابق، ص 11.

38- إيريك بويسنس، تر:جواد بنيس: المرجع نفسه، ص ص 14، 87.

39- فيصل الأحمر: "**معجم السيميائيات**"، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، لبنان- الجزائر، 2010. ص ص 86، 87.

40- إيريك بويسنس، تر:جواد بنيس: المرجع نفسه، غلاف الكتاب.

41- هيام كريدية: "**أضواء على الألسنية**"، الطبعة الأولى، لبنان، 2008. ص 98.

42- عزيز لعبان: مرجع سابق، ص 43.